

دفاع عن القراءات القرآنية والرسم العثماني
ضد بعض الشبهات
أ. بلبال فاطمة الزهراء
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

الملخص:

إن سلوك المسلم القويم مرجعه إلى القرآن الكريم الذي هو مصدر شريعتنا وسر نجاحنا وفيه يصلح حال الفرد والمجتمع وتتوحد كلمة الأمة ولا يتحقق ذلك إلا بإعادة ثقة المسلم بكتاب ربه وسنة نبيه واعتزازه بدينه وعقيدته و يتجسد ذلك من خلال الدفاع عن القراءات القرآنية ضد كل من يطعن فيها من أعداء الدين يحاولون بث الشبهات والأباطيل لتشكيك المسلم بالقرآن الكريم من حيث ألفاظه ومبانيه التي تتضمن أحكامه ومعانيه، غير أنهم لم يتمكنوا من كل ذلك لأن الله قد تكفل بحفظ كلامه وسخر لأجل ذلك علماء الأمة للدفاع عنه من كل تلك الشبهات و المزاعم بالحجة و الدليل.

Résumé:

Le comportement du musulman attribué au Saint Coran, qui est la source de notre véritable et secret de notre réussite et cela fonctionne si l'individu et la société et de la nation unité ne peut être atteint que sommes convaincus livre musulman Seigneur et la Sunna de Son prophète et de la fierté de sa religion et de conviction et s'incarne en défendant le Coran Karim à la fois contre la contestation par les ennemis de la religion qui tentent de diffuser des soupçons et des mensonges pour discréditer la sainte musulmane Coran dans ses paroles et ses valeurs qui comportent des dispositions et des significations, mais ils ne pouvaient pas tout cela parce que Dieu a garanti pour préserver son parole et ridiculisé pour les scientifiques de cette nation à défendre lui de tous ces soupçons et des allégations de la preuve.

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وبعد:

فإن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي تكفل الله بحفظه من التحريف والزيادة والنقصان فلم يتغير في شكله ولا في ضبطه بل كان محفوظاً بعناية الله تعالى من وقت أن تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن رب العزة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
إلا أن أعداء الدين عموا عن هذه الحقيقة فوجهوا كل طاقاتهم وجهودهم للنيل من هذا الكتاب الذي هو أصل شريعتنا.
واتخذوا من جمع القرآن ورسمه مجالا يلتمسون فيه بعض الروايات

والأخبار التي تطعن في ثبوت رسم القرآن على زعمهم فكان علماء الإسلام لهم بالمرصاد حيث فندوا وأبطلوا كل ما ذهبوا إليه بالحجج العقلية والنقلية فلذلك أردت في هذا العرض أن أورد أهم الشبهات التي أثارها المغرضون وأرد عليها من خلال أقوال العلماء التي حاولت جمعها بما تيسر لي من المراجع وقد قسمت هذا البحث إلى قسمين: القسم الأول: يتضمن نشأة القراءات والرسم والشبهة الواردة فيها أما القسم الثاني فأوردت فيه بعض الشبهات الخاصة بالرسم والرد عليها مستعينة ببعض المصادر التي أذكر أهمها: مناهل العرفان للزرقاني، الإتقان للسيوطي، المقنع لأبي عمرو الداني بالإضافة إلى كتب التفسير.

أولاً: نشأة القراءات والرسم والشبهة المتعلقة بهما

1. نشأة القراءات ورسم المصحف:

كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه منشغلين بحفظ القرآن واستظهاره مشافهة إلا أن هذا لم يمنعهم من تقييده بما أتيح لهم من وسائل الكتابة آنذاك زيادة في الضبط والاحتياط، وكان هؤلاء الكتاب من خيرة الصحابة ففيهم أبو بكر وعثمان وعلي ومعاوية وأبي زيد وغيرهم رضي الله عنهم، ولم يكتب القرآن في عهد النبي في مصحف واحد بل كان منشوراً بين الرقاع والعظام وغيرها، وكان مشتملاً على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، غير أن بعض الصحابة كان قد كتب بعض منسوخ التلاوة وما ثبت بخبر الواحد وربما كتبه غير مرتب. وجاءت بعدها خلافة أبي بكر ولم يكن المصحف قد جمع وكان قد استحرّ القتل في قراء القرآن عند موقعة اليمامة،⁽¹⁾ ذلك الأمر الذي أفلق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فاقترح على أبي بكر رضي الله عنه جمع القرآن في مصحف واحد، تردد أبو بكر في البداية لعدم صدور هذا الأمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استجاب لنداء عمر، وأوكل مهمة ذلك لزيد بن ثابت الذي كان من كتاب الوحي وحفظته، فجعل يتبع القرآن من صدور الرجال، ومن الرقاع والعصب،⁽²⁾ وكان لا يكتب إلا ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ فهم لا يكتفون بالحفظ دون الكتابة ولا تكتب آية إلا بشاهدي عدل.⁽³⁾

أما في عهد عثمان رضي الله عنه فقد توسعت الفتوحات الإسلامية

(1) - محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، د ط، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، 1988، م (1 / 246-249)

(2) - ابو عمر والداني: المقنع في رسم المصحف الأنصار تحقيق محمد قماوي: د ط، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، د ت (ص 13-14)

(3) - جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، د ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ت (78 / 1)

وتفرق المسلمون في الأمصار وكذلك القراء، فكان كل إقليم يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من "الصحابة ولذلك وجد هناك اختلاف في وجوه القراءة مما فتح باب الشقاق والنزاع بينهم، وخصوصا عند اجتماعهم في الفتوحات وذلك لأن الأحرف السبعة التي نزل القرآن بها لم تكن معروفة لدى جميع المسلمين،⁽¹⁾ فتنبه لخطورة هذا الوضع حذيفة ابن اليمان فأبلغ الخليفة عثمان بن عفان بذلك حينئذ شرع عثمان بن عفان رضي الله عنه في جمع القرآن للمرة الثانية ولكن منهجه اختلف عن منهج أبي بكر حيث حرص على أن لا يكتبوا في هذه المصاحف إلا ما تحققوا من أنه قرآن وعلوموا انه استقر في العرصة الأخيرة ما لم ينسخ.⁽²⁾

قال ابن التين: "الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد وجمع عثمان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة.⁽³⁾ لذلك كانت مصاحف عثمان متفاوتة في الحذف والإثبات لتشمل الأحرف السبعة وجعلت خالية من النقط والشكل لتحتمل القراءات القرآنية.⁽⁴⁾

2. شبهة متعلقة بنشأة القراءات والرسم والرد عليها

يقف بعض المستشرقين من القراءات القرآنية موقف نقد ومعارضة حاولوا فيه التماس بعض الثغرات التي يمكن النفاذ منها لإحداث خلل في القرآن الكريم، وأنى لهم هذا وقد تكفل الله بحفظه،⁽⁵⁾ وفيما يلي أورد بعض افتراءات جولد تسيهر حول نشأة القراءات ورسم المصحف العثماني:

يقرر هذا المستشرق أن نشأة القراءات المختلفة ترجع إلى رسم المصحف وهو بهذا الرأي يهدم الحقيقة التي استقرت في نفوس المسلمين بأن القراءات مصدرها الرواية والسماع لا الخط والرسم، لعل هذا المستشرق استقى هذا الرأي من الزمخشري حين رد قراءة ابن عامر في سورة الأنعام (137) لأنه في ظنه قد اعتمد على المصحف ولم يعتمد على الرواية⁽⁶⁾ وقد رد عليه العلماء وفندوا رأيه فهذا أبو حيان يقول: "وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على

(1) - محمد عبد العظيم الزرقاني: المرجع السابق (ص 255-256).

(2) - جلال الدين السيوطي: المرجع السابق، (1/ 257\259)

(3) - جلال الدين السيوطي: المرجع نفسه ، (1/ 79)

(4) - محمد عبد العظيم الزرقاني: المرجع السابق (1/ 258)

(5) - احمد الببلي: الاختلاف بين القراءات، ط1، دار الجيل، بيروت، الدار السودانية للكتب الخرطوم، 1408هـ-1988م (ص- 91)

(6) - محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط1 مطبعة مصطفى محمد، مصر 1354هـ، (2/ 42)

عربي صريح قراءة متواترة موجودة نظيرها في لسان العرب⁽¹⁾. وقد استدل جولد تسيهر على دعواه باختلاف القراء في كلمة "فتنبتوا" في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم اثنان في سورة النساء (94) وموضع في سورة الحجرات⁽²⁾
(3)

فقرأ حمزة والكسائي وخلف في الثلاثة " فتنبتوا " وقرأ الباقر في الثلاثة " فتبينوا"⁽⁴⁾ والقراءتان متواترتان إذ ليست إحدى القراءتين أصلاً والأخرى بدلت منها كما توهمه جولد تسيهر فإن الخط العربي لم يكن سبباً في اختلاف القراءات بل كان مساعداً على استيعاب القراءات الصحيحة بحالته التي كان عليها عند كتابة المصاحف العثمانية فليست العبرة بالخط وإلا لاعتمدت قراءات أخر يسمح الخط بها وهي شاذة⁽⁵⁾.

فإذا احتمل الرسم قراءة غير ثابتة ولا مسندة إسناداً صحيحاً ردت، وما وافق الرسم من القراءة الصحيحة تعبد به⁽⁶⁾.

وربما كان من أكبر الأدلة على بطلان قول جولد تسيهر أن هذه القراءات رويت وشاعت القراءة بها قبل تدوين المصاحف كما كان القرآن محفوظاً في الصدور قبل تدوين المصاحف، ثم حين دونت المصاحف لم يكن النقط عرف ولا الشكل اخترع، فظهرت القراءات قبل النقط والشكل فكانت قراءاتهم على حسب ما يروون لا على حسب كما يقرؤون في المصاحف⁽⁷⁾.

ولو كان ما ذهب إليه المستشرق صحيحاً لاضطربت المصاحف وغيرت الآيات وبدلت كلماتها القرآنية بكلمات أخرى وحين ذلك يضيع كتاب الله، ذلك لأن القارئ الذي لم يتلق القرآن عن طريق المشافهة والسماع يتعرض في قراءته للتصحيف، لذلك انتشر القراء في الأمصار الإسلامية ليعلموا الناس قراءة القرآن الكريم إيماناً منهم بأن المصحف وحده لا يغني شيئاً في مجال

(1) - محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، د ط، د ت، (ص 4/ 230)

(2) - عبد العال سالم مكرم: من الدراسات القرآنية، ط 1، عالم الكتب القاهرة، 2001م، (ص 31)

(3) - احمد النبيلي، المرجع السابق، (ص 97).

(4) - ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، د ط، دار الكتاب العربي، مصر، د ت، (2/ 251)

(5) - عبد العال سالم مكرم: القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت 1996م، (ص 15).

(6) - عبد الفتاح إسماعيل شلبي: رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين، ط 2، دار الشروق، السعودية، 1983، (ص 27)

(7) - عبد العال سالم مكرم: القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، المرجع السابق، (ص 16)

القراءة: (1)

ثانياً: بعض الشبهات الخاصة بالرسم العثماني والرد عليها 1. الشبهة الأولى والرد عليها:

يقولون: "روي عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: "سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله تعالى: "إن هذان لساحران" "طه 63" وعن قوله: "والمقيم الصلاة" "النساء 162" وعن قوله تعالى: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون" "المائدة 69" فقالت: "يا ابن أختي هذا من عمل الكتاب فقد أخطئوا في الكتاب"⁽²⁾

استند أعداء الإسلام إلى هذه الرواية محاولين بذلك زعزعة الثقة بكتاب الله تعالى وبصحة ما فيه لاعتقادهم بتحريف ألفاظه كما حرفت كتبهم واندرست عبر التاريخ.

وهذا الأثر ذكره السيوطي في الإتقان وقال بأن سنده صحيح على شرط الشيخين⁽³⁾ كما ذكره في الدر المنثور وعزاه للمصنف وأبي عبيد في فضائله وابن أبي شيبة⁽⁴⁾ ورواه ابن جرير بسنده⁽⁵⁾ ورواه ابن أبي داود في المصاحف⁽⁶⁾.

ومما يلاحظ على سنده أن ظاهره الصحة ومنتنه منكر وليس الخطأ فيه من أبي معاوية لأنه قد تويع فيحتمل أن يكون الخطأ من هشام بن عروة وهو الأقرب لأن حديث معاوية عن هشام فيه اضطراب⁽⁷⁾ ولو سلمنا بصحة سنده إلى عائشة فإن بعض العلماء قد تأول معناه حيث يرى بأن عروة لم يسأل عائشة عن حروف الرسم وإنما سألها عن الألفاظ المحتملة الوجوه على اختلاف اللغات التي أذن الله عز وجل لنبيه ولأئمة القراءة بها فأطلقت عائشة على مرسومه الخطأ على جهة الاتساع في الإخبار فقول عائشة أخطئوا في الكتاب أي أخطئوا في اختيار الأولى من الأحرف السبعة⁽⁸⁾.

(1) - عبد العال سالم مكرم، من الدراسات القرآنية، المرجع السابق، (ص 19)

(2) - أبو عمر والداني: المرجع السابق (ص 121)

(3) - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (1/ 239)

(4) - جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالماثور، ج2، د ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان (2/ 246).

(5) - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، د ط، المطبعة الميمنية، مصر، د ت (9/ 395)

(6) - أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني: كتاب المصاحف، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م، (ص43)

(7) - سنن سعيد ابن منصور: دراسة وتحقيق سعد بن عبد الله آل حميد: ، دار الصمعي للنشر، د ب، د ت (4/ 1512)

(8) - أبو عمر والداني: المرجع السابق (ص 121)

ونرد عليهم بأن توجيه هذه القراءة في اللغة يدفع الوهم والخطأ عن هذه القراءة ففي قوله تعالى: "إن هذان لساحران" قرأها أبو عمرو هذين بالياء وقرأ الباقون بالألف وابن كثير على أصله في التشديد،⁽¹⁾ إذا فالقراءة صحيحة متواترة وأغلب ما وجهها العلماء بأنها جرت على لغة كنانة وبالحرث بن كعب الذين جعلوا علامة إعراب المثني الألف في الأحوال كلها.⁽²⁾

وأما عن قوله تعالى: "والمقيمون الصلاة" فقد قرأ الحسن ومالك بن دينار وجماعة "والمقيمون" على العطف وكذا هو في حرف عبد الله، وأما حرف أبي فففيه "المقيمون" كما في المصاحف، واختلف في نصبها على أقوال أصحها قول سيبويه بأنه نصب على المدح أي أخص وأعني المقيمون الصلاة قال سيبويه: هذا الباب ما ينتصب على التعظيم.⁽³⁾

وفي توجيه قراءة "والصابئون" أقوال عدة نذكر منها قول الفراء: "فإن رفع الصابئين على أنه عطف على الذين، والذين اسم مبني فلما كان إعرابه واحدا وكان نصب إن نصبا ضعيفا ضعفه يقع على الاسم ولا يقع على خبره جاز رفع الصابئين".⁽⁴⁾

وجمهور المفسرين جعلوا قوله تعالى: "والصابئون" مبتدأ وقدروا له خبرا محذوفا لدلالة خبري إن عليه، ومما يجب أن يوقن به بأن هذا اللفظ كذلك نزل وكذلك نطق به النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك تلقاه المسلمون وكتب في المصاحف وهم عرب خلص، وإن كان هذا استعمالا غير شائع لكنه من الفصاحة والإيجاز كما لا ترد قراءة الجمهور المجمع عليها بقراءات أخرى ومن البعيد جدا أن يخطئ كاتب المصحف في كلمة بين أخواتها فيفردا بالخطأ دون سابقتها أو تابعتها،⁽⁵⁾ ولذلك قال المهدي: "لم يوجد في القرآن العظيم حرف واحد إلا وله وجه صحيح في العربية لقوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" الحجر 9- فالقرآن محفوظ من اللحن والزيادة والنقصان".⁽⁶⁾

2. الشبهة الثانية والرد عليها:

روي عن عثمان أنه حين عرض عليه المصحف قال: "أحسنتم وأجملتم إن في القرآن لحنا ستقيمه العرب بألسنتها" أخرجه ابن أبي داود في

(1) - ابن الجزري: المرجع السابق، (2/ 321)

(2) - الطاهر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس (16/ 253)

(3) - ابو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، د ط، د ب، د ت، (6/ 13)

(4) - ابو زكريا يحيى بن زياد القراء: معاني القرآن، د ط، د ب، 1955، (1/ 310-311)

(5) - الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، (6/ 270-30)

(6) - احمد مكي الأنصاري: الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين، دار المعارف، مصر 1973م، (ص95).

المصاحف" (1)

وابن الأنباري في كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان، وابن أشته في كتابه المصاحف⁽²⁾ وأبو عمرو الداني في المقنع،⁽³⁾ وذكره البغوي في معالم التنزيل،⁽⁴⁾ وابن قتيبة،⁽⁵⁾ وغيره، أورد أعداء الإسلام هذه الرواية وقالوا: "إنها طعن صريح في رسم المصحف، فكيف يكون مصحف عثمان وجمعه القرآن موضع ثقة وإجماع من الصحابة وهذا عثمان نفسه يقول: "إن فيه لحنا"⁽⁶⁾ ويمكن الإجابة على هذه الشبهة بما يلي:

أن ذلك لا يصح عن عثمان فان إسناده ضعيف مضطرب ومنقطع ولأن عثمان جعل للناس إماما يقتدون به فكيف يرى فيه لحنا، ويتركه لتقييمه العرب بألسنتها فإذا كان الذين تولوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك وهم الأخيار فكيف يقيمه غيرهم.⁽⁷⁾

ومعروف في منهج عثمان تحريه الدقة وكمال الضبط وكان هذا قبل أن يرسل تلك المصاحف إلى أمصار الإسلام، فهل يصدق عاقل أن عثمان لا يصلح اللحن والخطأ قبل أن يشيع في أمة الإسلام والأمر مازال بين يديه،⁽⁸⁾ وقال ابن الأنباري: "فكيف يدعى عليه انه رأى فسادا فأمضاه وهو يوقف على ما يكتب ويرفع الخلاف الواقع بين الناس فيحكم بالحق ويلزمهم إثبات الصواب" ويتأكد سقوط هذه الرواية من جراء التناقض الظاهر بين وصفها لنساخت المصحف بأنهم أحسنوا وأجملوا ووصفها المصحف الذي نسخته بأن فيه لحنا فهل يقال للذين لحنوا في المصحف بأنكم أحسنتم وأجملتم اللهم الا إذا كان المراد معنى آخر، لذلك فإننا إذا افترضنا صحة هذه الرواية فقد وضع لها العلماء بعض التأويلات التي تتفق مع الصحيح المتواتر عن عثمان في جمع القرآن انه كان في غاية التثبت والضبط⁽⁹⁾

فيرى أبو عمر والداني أن المراد باللحن المذكور فيه، التلاوة دون الرسم إذ كان كثير منه لو تلي على حال رسمه لانقلب بذلك معنى التلاوة وتغيرت

(1) - أبو بكر السجستاني: المرجع السابق (ص 41).

(2) - جلال الدين السيوطي: المرجع السابق، (1/ 240).

(3) - أبو عمر والداني: المرجع السابق (ص 119).

(4) - محمد الحسين بن مسعود البغوي: تفسير معالم التنزيل، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1986م، (1/ 498).

(5) - ابو محمد عبد الله ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، شرحه أحمد صقر، ط2، دار التراث، القاهرة، 1973، (ص26).

(6) - محمد عبد العظيم الزرقاني: المرجع السابق (ص 386).

(7) - جلال الدين السيوطي: المرجع السابق، (ص 239).

(8) - محمد حسين البغوي: المرجع السابق، (ص 499).

(9) -- محمد عبد العظيم الزرقاني: المرجع السابق (ص 387).

ألفاظها مثل: الربوا فلو تلاه نال لا معرفة له بحقيقة الرسم على حال صورته في الخط لصير الإيجاب نفياً ولزاد في اللفظ ما ليس فيه فأتى من اللحن بما لا خفاء به على من سمعه مع كون رسم ذلك كان جائزاً، فأعلم عثمان رضي الله عنه إذ وقف على ذلك أن من فاته تمييز ذلك ممن يأتي بعده سيأخذ ذلك عن العرب إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم فيعرفونه بحقيقة تلاوته،⁽¹⁾ وبهذا التأويل جزم ابن أشته في كتاب المصاحف.⁽²⁾

وقد وجه أبو بكر بن أبي داود اللحن بمعنى اللغة والقراءة مستدلاً بقول عمر ابن الخطاب: "إنا لنرغب عن كثير من لحن أبي" يعني لغة أبي،⁽³⁾ وقال ابن بري وغيره: "اللحن ستة معاني من بينها اللحن الذي هو اللغة، فقد قال عمر: "تعلموا اللحن كما تعلمون القرآن قال الأزهرى: معناه تعلموا لغة العرب في القرآن واعرفوا معانيه"⁽⁴⁾

ومعنى ذلك أن في القرآن ورسم المصحف وجهها في القراءة لا تلين به ألسنة العرب جميعاً ولكنها لا تلبث أن تلين به ألسنتهم جميعاً بالمران وكثرة تلاوة القرآن،⁽⁵⁾ ويظهر أن هذا هو التأويل الأقرب للصواب عند معارضة الروايات لبعضها البعض وخاصة رواية عائشة. وقد ذكر السيوطي في الإتيان معنى آخر لهذا الأثر من خلال رواية ابن الأشته الذي ذكر فيها انه لما فرغ عثمان من المصحف نظر فيه فقال: "أحسنتم وأجملتم أرى شيئاً سنقيمه بألسنتنا" أن هذا الأثر لا إشكال فيه وبه يظهر معنى الخبر فكأنه عرض عليه عقب الفراغ منه فرأى فيه شيئاً كتب على غير لسان قريش فوعد بأنه سيقومه على لسان قريش ثم وفى بذلك عند العرض والتقويم ولم يترك فيه شيئاً ففعل من روى تلك الآثار السابقة لم يتقن اللفظ الذي صدر عن عثمان فلزم منه الإشكال. ومنهم من يرى أن عثمان أراد بقوله أرى فيه لحناً أي أرى في خطه لحناً إذا أقمناه بألسنتنا كان لحن الخط غير مفسد ولا محرف من جهة تحريف الألفاظ وإفساد الإعراب⁽⁶⁾ ولذلك كان عاصم الجحدري يقيم بعض الأحرف بلسانه ويترك الرسم على حاله فكان يقرأ قوله تعالى "إن هذين لساحران" عملاً برأيه،⁽⁷⁾ ويمكن الرد عليه انه أخطأ في التأويل لأن الخط مبني على النطق فمن

(1) - أبو عمر والداني: المرجع السابق (ص 119-120).

(2) - جلال الدين السيوطي: المرجع السابق، (ص 240).

(3) - أبو بكر السجستاني: المرجع السابق (ص 43).

(4) - ابن منظور لسان العرب، دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت لبنان، 1408هـ-1988م

(5/ 353).

(5) - محمد عبد العظيم الزرقاني: المرجع السابق (ص 387).

(6) - جلال الدين السيوطي: المرجع السابق، (ص 240).

(7) - أبو محمد ابن قتيبة: المرجع السابق، (ص 51).

لحن في كتبه فهو لاحن في نطقه⁽¹⁾.

3. الشبهة الثالثة والرد عليها:

استدل الطاعنون في جمع المصحف ورسمه بما روي عن ابن عباس في قوله تعالى: "حتى تستأنسوا وتسلموا" النور 27 أنه قال: "أخطأ الكاتب إنما هي، حتى تستأنسوا، وهي كذلك في مصحف عبد الله وذكر أنها قراءة لأبي وأخرج هذا الأثر سعيد بن منصور وعبد الله ابن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف⁽²⁾. ورواه الحاكم بسنده وقال صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه⁽³⁾، ورواه البيهقي في شعب الإيمان بسنده⁽⁴⁾ وروى الطبري عن ابن عباس انه فسر الاستئناس بالاستئذان⁽⁵⁾.

ولذلك يمكن حمل رواية ابن عباس على أنها تفسير للفظ الاستئناس لأن جميع المصاحف قد ثبت فيها "حتى تستأنسوا" وصح الإجماع فيها من زمن عثمان⁽⁶⁾.

ولذلك قال أبو حيان: "من روى عن ابن عباس انه قال: ذلك فهو طاعن في الإسلام ملحد في الدين وابن عباس بريء من ذلك القول، وتصحيح الحاكم لا يعول عليه عند أئمة الحديث، وابن الأنباري أجاب عن هذا الخبر ونحوه من الأخبار الطاعنة في تواتر القرآن المروية عن ابن عباس بأنها روايات ضعيفة ومعارضة بروايات أخرى عن ابن عباس وغيره⁽⁷⁾ واختار جلال الدين السيوطي جواب ابن أسسته حين قال بأن المراد أخطئوا في الاختيار وما هو أولى لجمع الناس عليه من الأحرف السبعة لا أن الذي كتب خطأ خارج عن القرآن⁽⁸⁾.

4. الشبهة الرابعة والرد عليها:

كما أورد المشككون في رسم المصحف وضبطه ما روي عن ابن عباس انه كان يقرأ: "أفلن يتبين الذين آمنوا" الرعد 31، فقل له إنها في المصحف أفلم

(1) - جلال الدين السيوطي: المرجع السابق، (ص 240).

(2) - جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (5/ 38).

(3) - الحاكم النيسابوري: المستدرک علی الصحیحین، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ديت، (2/ 396).

(4) - أبو بكر أحمد بن حسينا البيهقي: شعب الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1990م، (6/ 473).

(5) - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: المرجع السابق، (16/ 77-78).

(6) - أبو عبد الله محمد القرطبي: المرجع السابق، (12/ 214).

(7) - شهاب الدين الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج17، إدارة الطباعة المنيرة، مصر (ص 133-134).

(8) - جلال الدين السيوطي: الإتيان في علوم القرآن (1/ 242).

بيأس فقال: "أظن أن الكاتب كتبها وهو ناعس" أخرجه أبو عبيد وسعيد ابن منصور وابن المنذر وابن الأنباري⁽¹⁾ وابن جرير⁽²⁾.
وهذا الخبر باطل عن ابن عباس لأن مجاهد وسعيد ابن جبير حكيا الحرف عن ابن عباس على ما هو في المصحف بقراءة أبي عمرو وروايته عن مجاهد وسعيد ابن جبير عن ابن عباس.
ثم معناه: أفلم يتبين فان كان مراد الله في هذه اللفظة التي خالفوا بها الإجماع فقراءة أفلم بيأس تصدق عليها وتأتي بتأويلها وإن أراد الله المعنى الآخر الذي اليأس فيه ليس من طريق العلم فقد سقط ما أورده من رواية "أفلم يتبين"⁽³⁾.

قال الزمخشري "هذا نحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الإمام وكان متقلبا في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله لا يغفلون عن دقائقه وجلالته⁽⁴⁾ وإن افترضنا صحة هذه الرواية فمعنى قول ابن عباس "كتبها وهو ناعس" أي لم يتدبر الوجه الذي هو أولى من الآخر⁽⁵⁾ وخلاصة ما سبق أن تلك الشبهة وما مائلها مدفوعة بالنصوص القاطعة على أن جميع القرآن الذي أنزله الله تعالى وأمر بإثباته ورسمه ولم ينسخه ناسخ في تلاوته هو هذا الذي حواه مصحف عثمان بين الدفتين ولم ينقص منه شيء ولم يزد وقد ضببت الأمة عن النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب أي كل سورة ومواقعها كما ضببت منه نفس القراءات وذات التلاوة فيلاحظ في الرد على أمثال تلك الشبهات أمران: أولهما: تلك القاعدة التي وضعها العلماء وهي أن خبر الأحاد إذا عارض القاطع سقط عن درجة الاعتبار مهما تكن درجة إسناده من الصحة، وثانيهما: الدفاع التام عن الصحابة وخصوصا ما تعلق الأمر باتهامهم بسوء الحفظ أو عدم التثبت والتحري خصوصا في كتاب الله تعالى⁽⁶⁾.

الخاتمة:

وقد اتضح لنا مما سبق أن القرآن الكريم كتب جميعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الذين اتخذهم من أصحابه لكتابتهم كانوا على قدر رفيع من الثقة والضبط والإتقان ولو فرضنا حصول الخطأ في الكتابة أو سهو في مرسوم الكلمات القرآنية لنبه الوحي على ذلك وذلك لأنه سبحانه وتعالى يأبى

(1) - جلال الدين السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (4 / 63) .

(2) - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: المرجع السابق، (91/12).

(3) أبو عبد الله محمد القرطبي: المرجع السابق، (9 / 320)

(4) - محمود بن عمر الزمخشري: المرجع السابق، (2 / 289)

(5) - جلال الدين السيوطي لإتقان في علوم القرآن ، (ص 242)

(6) - محمد عبد العظيم الزرقاني: المرجع السابق (ص 397)

أن يكتب كلامه على حال يتنافى مع قدسيته وجلالته كما أن سوء الكتابة تجر إلى سوء القراءة فهل كان شيء من ذلك حتى يتاح لأولئك المتحاملين على رسم المصحف الشريف الذي ضبطت ألفاظه كما ضبطت كيفية أدائه حرصا على نقله رطبا كما أنزل بالوجه الذي سمع من النبي صلى الله عليه وسلم. ولهذا فانه يتعين على جميع المشتغلين بهذا المجال وعلى العلماء خاصة أن يقفوا في وجه من يطعن في رسم المصحف العثماني وأن لا يدعوا مثل هذه الآراء المسمومة تتسرب إلى كتبنا من دون نقدها وتمحيصها وتنبيه القراء على خطورتها المتمثلة في محاولة التشكيك في صحة ثبوت القرآن ووصوله إلينا متواترا وخصوصا أن هذه الشبهات والدعاوى جاءت مستندة إلى أقوال الصحابة وبالتالي يكون أثرها أكبر على القارئ الذي لا يوجد عنده قسط وفير من العلم الشرعي.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

قائمة المصادر و المراجع:

1. الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت لبنان، د ت.
2. الاختلاف بين القراءات، أحمد البيلي، ط 1، دار الجيل، بيروت، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 1408 هـ - 1988 هـ.
3. البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، د ت، د ط.
4. تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله ابن قتيبة، ت، أحمد صقر، ط 2، دار التراث، القاهرة، 1973.
5. التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس.
6. جامع البيان في التفسير و القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المطبعة الميمنية، مصر، د ت.
7. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، د ط، د ت.

3. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، ج 2، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
4. الدفاع عن القرآن ضد النحويين و المستشرقين، دار المعارف، مصر 1973م.
5. رسم المصحف العثماني و أوهام المستشرقين، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط2، دار الشروق، السعودية، 1983.
6. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج 17، إدارة الطباعة المنيرة، مصر.
7. سنن سعيد بن منصور، ت: سعد بن عبد الله آل حميد، دار الصمعي للنشر، دت.
8. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن حسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1990 م.
9. القراءات القرآنية و أثرها في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996 م.
10. كتاب المصاحف، أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985 م.
11. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط1، مطبعة مصطفى محمد، مصر، 1354 هـ.
12. لسان العرب، ابن منظور، دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت، لبنان، 1408 هـ - 1988 هـ.
13. المستدرک في الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دت.
14. معالم التنزيل، محمد الحسين البغوي، ط 1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1988 م.
15. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، د ط، 1955 م.
16. المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، د ط، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، دت.
17. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، د ط، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، 1988م.
18. من الدراسات القرآنية، عبد العال سالم مكرم، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 2001 م.
19. النشر في القراءات العشر، محمد بن الجزري، د ط، دار الكتاب العربي، مصر، دت.